الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـــــامعة غـــــرداية

كـــلية الآداب واللـــغات

قـــسم اللغة و الأدب العربي

قصائد المدح الممزوج بالغزل عند ابن اللبانة فى مدح

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس في ميدان اللغة و الأدب العربي

تخصص دراسات أدبية

إعداد الطالبة:

شراد زينب

إشراف الأستاذ:

❖شامخة خديجة

السنة الجامعية:

1433هـ - 1434هـ

2021م - 2022م

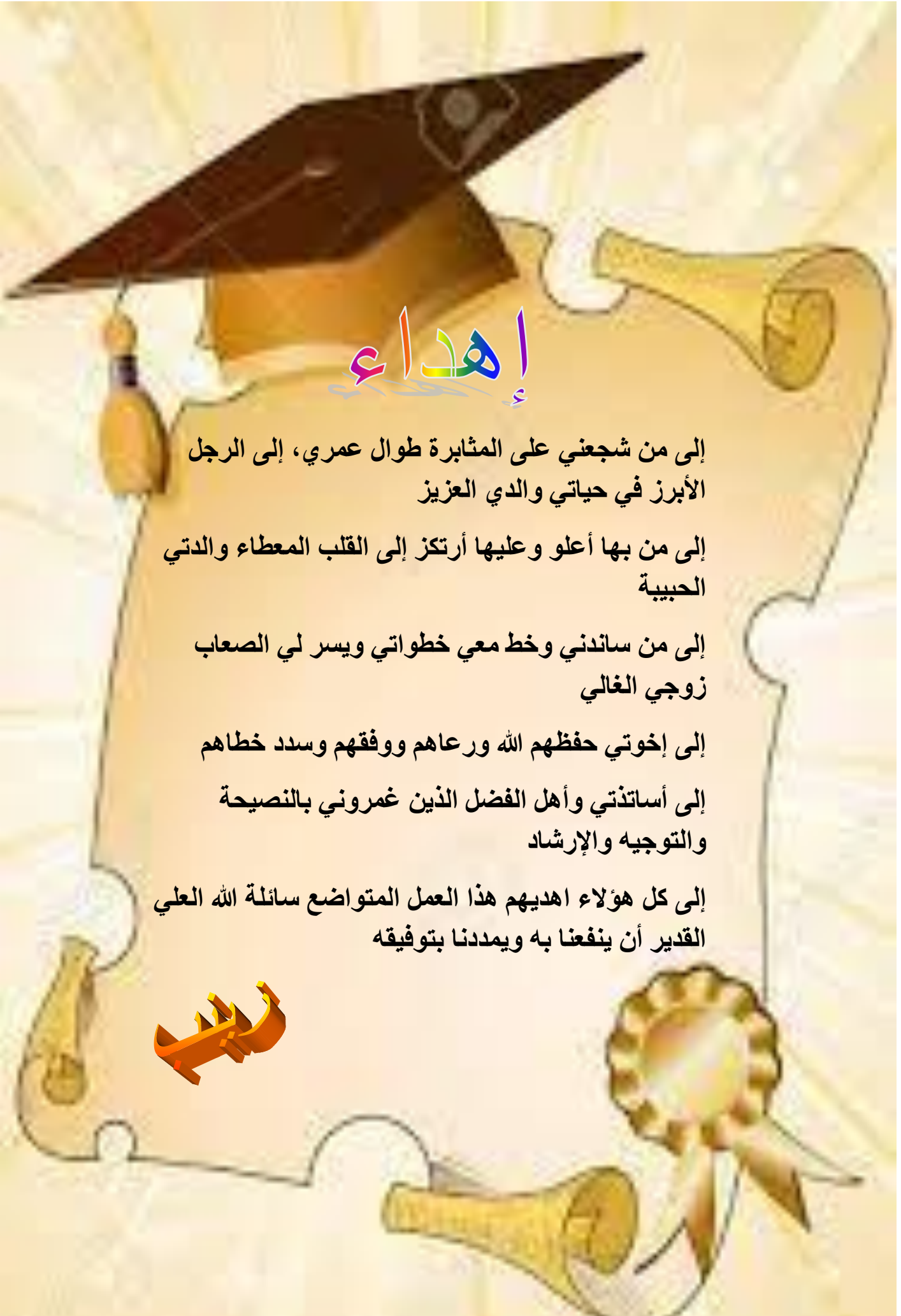

إهداء

إلى من شجعني على المثابرة طوال عمري، إلى الرجل الأبرز في حياتي والدي العزيز

إلى من بها أعلو وعليها أرتكز إلى القلب المعطاء والدتي الحبيبة

إلى من ساندني وخط معي خطواتي ويسر لي الصعاب زوجي الغالي

إلى إخوتي حفظهم الله ورعاهم ووفقهم وسدد خطاهم

إلى أساتذتي وأهل الفضل الذين غمروني بالنصيحة والتوجيه والإرشاد

إلى كل هؤلاء اهديهم هذا العمل المتواضع سائلة الله العلي القدير أن ينفعنا به ويمددنا بتوفيقه

زينب

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أهدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأدعو له"

وعملا بهذا الحديث واعترافا بالجميل، نحمد الله عز وجل ونشكره على أن وفقنا لانهاء هذا العمل المتواضع.

ونتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة ~**شامخة خديجة**~ التي رافقتني طيلة هذا البحث المتواضع وأمدتنا بالمعلومات والنصائح القيمة راجين من الله عز وجل أن يمدد خطاها ويحقق مناها فجزاها الله كل خير.

إلى كل أساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا في عطائهم يوما بل بذلوا كل ما في وسعهم لآصال المعلومة.

الفهرس:

الاهداء شكر وعرفان المقدمة
تمهيد 8 السيرة الذاتية لابن اللبانة
نسبه ومولده 10
مؤثرات الحياة الاجتماعية والفكرية 11
قصائد المدح الممزوج بالغزل لابن اللبانة في مدح ناصر الدولة وجمالياته
المدح عند ابن اللبانة 15
الغزل عند ابن اللبانة 23
صور المزج بين المدح والغزل لابن اللبانة 25 جماليات المدح عند ابن اللبانة 28
الخاتمة ملخص 30
المصادر والمراجع

المقدمة

المقدمة

يعد دخول العرب المسلمين إلى الأندلس، توسع المجال أمامهم لنشر الدين الإسلامي، وبعد
ضعف أمراء بني أمية وسقوط خلافتهم في الأندلس نشأ ما يعرف بنظام حكام الطوائف، الذين سعوا
جاهدين إلى إعادة إحياء أمجاد الأندلس واسترجاع مكانتها، وفي ظل هذا العهد سطعت شمس الفكر
والأدب.
ولما كان الشعر هو ديوان العرب منذ القديم، فقد اعتبره الأندلسيون ثراتا مهما عندهم، لما له من
خصائص منها :حسن التصوير، واتساع الخيال وحسن السبك، وسلاسة الانسياب، هذا ما فتن به شعراء الأندلس وجعلهم محاكين له في مختلف الموضوعات من طبيعة ومدح وفخر واستعطاف وغزل.
ورغم الاضطراب السياسي الذي تمر به الأندلس في هذه الفترة، إلا أنها عرفت بروز عدَّة أقطاب
في العلم والأدب من بينهم :ابن اللبانة الداني حيث مارس السياسة إلى جانب كونه أدبيا وشاعرا فذًا، فكان له في الشعر الشيء الوفير وخاصة في غرض المدح و الغزل الذي كان مرآته العاكسة برغم من أهميته البالغة وجودة شعره إلا أنه لم يحظى بالدراسات الكافية الوافية على حد علمي، **فهذا من الأسباب** التي جعلتني أبحث في هدا الموضوع لأنه علم من أعلام الشعر والأدب التي زخرت بها الأندلس، وبمـأن شعره يتميز بالعذوبة والنضارة والسهولة في اللفظ فقمت بتحليل النصوص وكشف الأغراض الفنية الجمالية والأدبية ساعدني على ذلك بعض **الدراسات السابقة** على سبيل الذكر دراسة عواطف محمد صالح بن محمد بكر الصواف ماجستير في تخصص الأدب العربي شعر ابن اللبانة الداني، والعديد **من المصادر ومراجع** القديمة والحديثة منها، على سبيل المثال:
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقذه ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق، ديوان ابن اللبانة (مجموع شعره) محمد مجيد السعيد، نفح الطيب،أحمد بن محمد المقري التلمساني ج5، في الأدب الأندلس (قضايا وموضوعات) د.خليل محمد ابراهيم، ومن أهم المصادر الذي وفر عليا كثير ديوان ابن اللبانة(مجموع شعره) ل محمد مجيد السعيد فكان المعين الأول على دراسة.
أما الإشكالية المطروحة في هذا الموضوع تفرعت إلى عدة أسئلة :
من هو ابن اللبانة؟ كيف كانت علاقته بحكام الأندلس؟ وماهو أسلوبه عند مزجه للمدح بالغزل؟ وما أبرز الظواهر الفنية التي برزت في قصائده؟

سوف نجد الإجابة على كل هده الإشكاليات في ثنايا بحثنا هذا .

أهداف البحث ومنهجه:

أما درستنا هذه تسعى لتسليط الضوء على فاعلية المدح وأثره في الإبداع الشعري، وإثراء التجربة
الشعرية الأندلسية، وإبراز الجوانب العاطفية المتوارية في الشعر الأندلسي، والمؤثرة في تجارب
الشاعر، كما تسعى لإبراز الجانب المدح الممزوج بالغزل للشاعر الأندلسي ومدى توظيفه للإيقاعات
والتراكيب والجماليات.
ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدت على المنهج التاريخي .

وبناءا على ماتقدم ارتأيت أن أقف على **قصائد المدح الممزوج بالغزل عند ابن اللبانة في مدح ناصر الدولة**

قسمت بنية بحثي إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، تناولت في المقدمة عموم الشعر الأندلسي وحضارتها باختصار، فالفصل الأول :عبارة عن تمهيد وتحدث فيه عن الشعر في عصر الطوائف وعصر المرابطين كما عرجت على السيرة الذاتية لابن اللبانة وكل ما يخص نسبه ومولده وبيئته، أما الفصل الثاني فخصصته لقصائد المدح الممزوج بالغزل لابن اللبانة، وصور المزج وجماليات الشعر عنده وفي الأخير الخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هده الدراسة المتواضعة.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة الشامخة التي لم تبخل
عليَّ بنصائحها وإرشاداتها.وأرجو أن أكون قد ألممت ولو بجزء يسير من أجزاء هذا البحث .

أسأل الله عزَّ وجلَّ التوفيق والسداد

الباحثة:زينب شراد

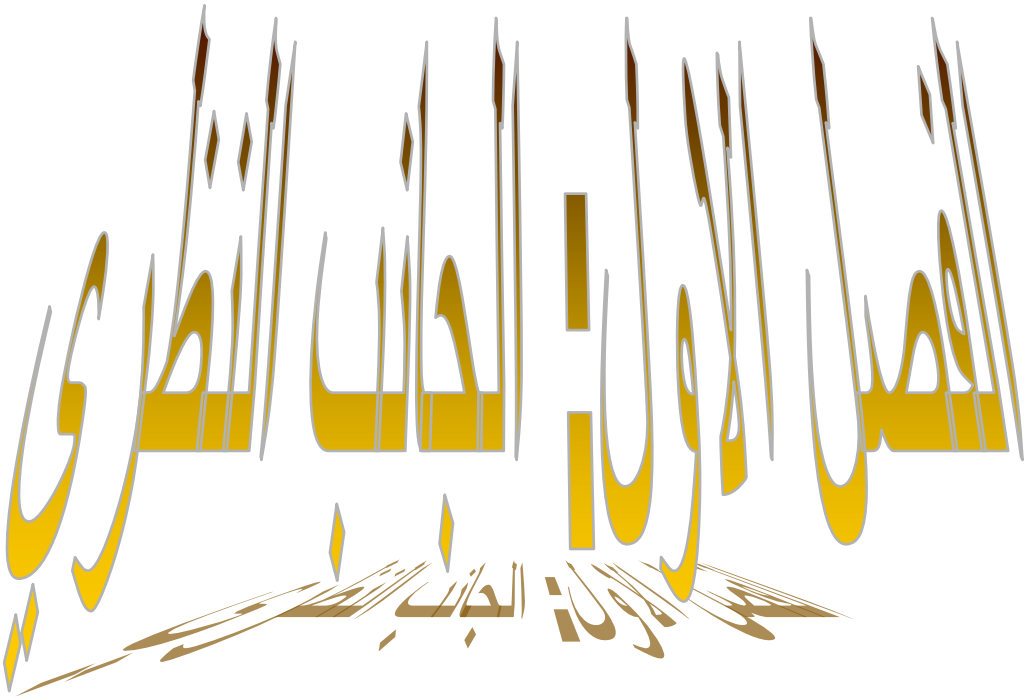

تمهيد

السيرة الذاتية لابن اللبانة

- نسبه ومولده
- مؤثرات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية

التمهيد:

أولا : عهد الطوائف:

انتعش شعر المديح في عهد الطوائف بسبب تشجيع الأمراء للشعراء وتنافسهم في جذبهم إليهم, فراج سوق المديح في هذا العصر , وشهد تطور وتحولات واضحة يمكن رصدها في النواحي الآتية:

1استشعر الشاعر الأندلسي في عهد الطوائف حاجة أمراء هذا العصر إلى المديح كون الشعر آنذاك يمثل أهم وسيلة إعلامية يحتاجها كل أمير و حاكم للترويج لدويلته الجديدة , وتثبيت دعائم حكمه , فكان أن استغل بعض الشعراء هذه الحاجة فأخذ يشترط على الممدوح حجم العطاء المناسب لكل قصيدة , ويُروَى في هذا الصدد عن الشاعر إدريس بن اليماني أنّ الأمير المعتمد بن عباد أمير اشبيلية طلب منه أن يمدحه , فأجابه قائلا ((: أشعاري مشهورة , وبنات صدري كريمة, فمن أراد بكرها فقد عرف مهرها ,)) وكانت جائزته مائة دينار.

2وظف بعض الشعراء الحيلة للحصول على عطاء الممدوح , ومن أشهر شواهد ذلك قول الشاعر ابن وهبون:

قلَّ الوفاء فما تلقاه من أحد ولا يمرُّ لمخلوق على بال

وصار عندهم عنقاء مُغربة أو مثلما حدّثوا عن ألف مثقال

فكان أن أنشد أحد الحاضرين هذين البيتين في حضرة الأمير المعتمد بن عباد أمير اشبيلية , فاندهش المعتمد وقال: لمَن هذين البيتين ؟ فقيل له : هما للشاعر ابن وهبون , وقد كان ابن وهبون أحد شعراء بلاط الأمير المعتمد , فقال المعتمد : هذا والله هو اللؤم البحت , شاعر من شعرائنا , وخادم من خدّامنا يتحدث بمثل هذه الأحدوثة ! وأمر باستدعاء الشاعر , وقال له : أنت صاحب هذين البيتين ؟ فأجاب الشاعر : نعم , فأمر له المعتمد بألف مثقال , وقال له : الآن حدّث بها لا عنها!

يتضح من هذه الرواية على افتراض صحة ورودها بهذا الشكل مكر الشعراء ودهائهم في ابتكار أسلوب جديد للتأثير في الممدوح والحصول على العطاء المناسب مع مراعاة أنّ مثل هذا الأسلوب لا ينجح إلا مع أمير مثل المعتمد شاعر وناقد متذوق للشعر ويمتلك الحاسة السادسة التي تلتقط ما وراء الألفاظ من معان.

3ومن مظاهر تحولات المديح في هذا العهد اختلاط المديح بالغزل كقول ابن عمار يمدح الأمير المعتمد بن عباد :

أندى على الأكباد من قطر الندى وألذُ في الأجفان من سنة الكرى

قدّاح زند المجد لا ينفك من نار الوغى إلا إلى نار ال قرى

4وشهد المديح في هذا العهد تطورا على مستوى البناء الفني , من ذلك قول محمد بن عبادة ابن القزاز مادحا أمير المرية أبا صُمادح:

نفى الحب عن مقلتيَّ الكرى كما قد نفى عن يديَّ العدم

فقد قرَّ حبك في خاطري كما قرَّ في واحتيك الكرم

ومنه قول ابن اللبانة يمدح مبشر العامري:

وضحت وقد فضحت ضياء النيّر فكأنما التحفت ببشر مبشّر

وتبسّمت عن جوهر فحسبتُه ما قلّد ته محامدي من جوهر

ثانيا : عهد المرابطين:

يتمثل تطور شعر المديح وتحولاته في عهد المرابطين بالنواحي الآتية:

1استوحى شاعر المديح في عهد المرابطين اللثام الذي يضعه المرابطون على وجوههم فرأى فيه جانبا جماليا وقيمة خلقية:

وتلثموا صونا لرقة أوجه جُعلَ السماح شعارها ودثارها

ولابن خفاجة معنى قريب منه:

يشدُّ اللثام على صفحة يُرى البدر منها بمرقى زحل

فلم أدر والحسن صنوٌ له أبدا بالمدح أم بالغزل

2إنّ قول ابن خفاجة في البيت الثاني إيحاء بالرغبة في التخلص من المقدمة الغزلية , وهو ما صرّح به في بيت آخر قائلا:

بمثل علاك من ملك حسيب عدلت إلى المديح عن النسيب

3مزج الرثاء بالمديح , من ذلك قصيدة لابن خفاجة مطلعها– :

كفاني شكوى أن أرى المجد شاكيا وحسب الرزايا أن تراني باكيا

4الدعوة إلى المساواة بين الشاعر والممدوح كقول الأعمى التطيلي :

شعري وجودك يا أبا العباس مثلان قد سارا بنا في الناس

أدنى سماحُك كلَّ شأن نازح وألان شعري كلَّ فلب قاس

هذه الأبيات تلتقي مع أبيات ابن القزاز وابن اللبانة في أنّها تمثل محاولة للشاعر لإعلان مساواته للممدوح حين يمنح الشاعر نفسه مساحة زمنية من القصيدة يعبر فيها عن ذاته غزلا أو فخار، وهي مساحة مساوية تقريبا للمساحة التي يشغلها المديح

للأمير أو الحاكم[1].

السيرة الذاتية لابن اللبانة:

1 ــ نسبه ومولده:

اسمه أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني، أما عن طفولته ومولده فلا يعرف عنهما شيء سوى كان يتيم الأب ومن عائلة معدمة، واشتهرت أمه ببيع اللبن لتعيلهم لذلك أطلق عليه ابن اللبانة نسبة لمهنة ولدته الشريفة كما يتضح من خلال شعره أنه كان قصير القامة ونحيف البنية وقد تفتحت قريحته الشعرية وهو

[1] محاضرة في الأدب الأندلسي، الدراسة الأولية،أعدها الدكتور علي مطشر نعيمة، تطور شعر المديح وتحولاته في عهدي الطوائف والمرابطين

مزال صبيا فاتخذ من الكلمة حرفة ومن الفريض صنعة يقتات منها في عصره كانت تحكمه والصراعات الداخلية[2]

ابن اللبانة عربي الأصل لخمي الانتماء والنسب لذلك عرف بشدة تعصبه للعرب وأعمل ذهنه في استنباط المعاني الدقيقة والصور البديعية التي أشاد من خلالها بعراقة أصلهم وعلو شأنهم وسعة ملكهم وكرم طباعهم ولد وترعرعا في مدينة دانه وهو أحد شعراء الأندلس المشهورين واحد وجهاء الدولة ،فمدح ملوك الطوائف والأمراء ونال جوائزهم وحظي بالرتب العالية عندهم خاصة على صاحب مروقه ناصر الدولة مبشر بن سلمان وكان المعتمد بن عباد أحد أشهر ممدوحيه وكان قد اتخذه صديقا حميما وكان هدا الأخير يعجب لجمال شعره وما يأتي به من الغريب والنادر ،ولما دخل يوسف بن تشفين مدينة اشبيلية اسر أميرها وهو صاحبه المعتمد ابن عباد وحمله مقيدا مع أهله إلى مراكش أسيرا فبقي ابن اللبانة وفيا لممدوحه بعد الأسر وذكره في شعره بعدة قصائد ويف رحيل المعتمد عن اشبيلية بعد أن اقتاده المرابطون أسيرا فيقول :

حان الوداع فضجت كل صارخة وصارخ من مفداة ومن فادي

سارت سفائنهم والنوح يتبعها كأنها إبل يحدو بها الحادي

انتقل ابن اللبانة إلى جزيرة مورقة وكان أميرها مبشر العامري الملقب الناصر فحظي عنده بمكانة عالية وعلت منزلته ومدحه بقصائد أجاد فيها، ويفهم مما ذكر أن لشاعر ابن اللبانة لقبين :

ـــ صاحب الديوان والتصانيف الأدبية كناه به صاحب سير أعلام النبلاء.

ـــ الوزير وأطلقه عليه أكثر من باحث منهم ابن دحية لسان الدين بن الخطيب.

توفي الشاعر ابن اللبانة بمدينة مورقة الأندلسية سنة 507ه1113م[3] وهو لا يزال قادر على شد عصا الترحال وتحمل مشاكل الحياة قبيل وفاته في بلاط ناصر الدولة بميورقة .

ومن أشهر مؤلفاته : ـــ نظم السلوك في وعظ الملوك.

ـــ مناقل الفتنة.

---

[2] ابن الآبار،كتاب الحلة السيراء،ج2،ص58

[3] محمد مجيد السعيد، ديوان ابن اللبانة مجموع شعره، رفع عبد الرحمن النجدي، ط2008،2م،1429ه

ـــ الاعتماد في أخبار بني عباد.

سقيط الدرر ولقيط الزهر في شعر بني عباد

كما عنده اثنا عشر موشحة جاءت في كتاب فوات الوفيات والوافي بالوفيات.

2ـــ مؤثرات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية:

إن بيئة دانية التي نشأ فيها الشاعر ابن اللبانة كانت بيئة علمية صالحة حرص أميرها مجاهد العامري أن يكون أهلها أقرأ أهل الأندلس جمعيا فجلب إليها القراء ورعاهم من كثرة عطاياهم حتى غزوه في بلاده قاصدينه من كل مكان ليستفيدوا من علمه إضافة إلى أن أهل الأندلس كافة حار صين على تعليم أولادهم القرءان وعلومه وقواعد النحو وأصوله وتجويد الخط ورواية الشعر والترسل لان هذه المعارف هي أساس العلم وطريق صقل المواهب وتجديد الملكات. ومن الطبيعي ابن اللبانة سلك هذه السبل فألم بطرف من العلوم والمعارف والثقافات الشائعة في عصره بل سار على نهج المعاصرين وأقرانه في طلب العلم فالدارس لشعره يجد صدى لشتى المعارف والعلوم ويضاف إلى ذلك تجواله بين مدن الأندلس لفترة طويلة من حياته ولاشيء يصقل العقل وينمي القدرات والمدارك مثل الرحالات والاختلاط بالآخرين على اختلاف طبقاتهم لان ذلك ما يسهل الاتصال الذهني بأفكار الآخرين وقد دفعته حاجته وتطلعه للمعالي غلى شد عصا الترحال واتخاذ الأدب والشعر حرفة وصناعة أو عمل إن صح التعبير لنيل مبتغاه ،فقصد به الملوك والأمراء طلبا للرزق والمجد الأدبي والمنزلة الرفعية والمكان الاجتماعية المرموقة، فاختلط بالناس ،وشق طريقة وسط الشعراء المتراحمين حول ملوك الطوائف واؤمرائهم مادحا وارثيا وشاكرا وعاتبا واصفا ومهنيا[4].

فكون بذلك نتاجا فنيا لا يمكن أن يصدر إلا عنه ،فكان ربيب عصره ونتاج بيئته ،مما جعله إنسانا بليغا فصيحا والشاعر ملزوما بأخذه أسباب الثقافة والمعرفة كما قال ابن رشيق : ~والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل :من نحو، لغة، فقه، خير، حساب وفريضة ....وليأخذ نفسه

[4] عواطف محمد صالح بن محمد بكر الصواف ماجستير في تخصص الأدب العربي شعر ابن اللبانة الداني، جامعة القرى 1417ه.1998م

بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب ليستهل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال . ~ [5]

ومن السمات الواضحة في الشخصية الأندلسية عدم توحدها مع البيئة الجديدة والمجتمع الجديد لعدم انصهارها فيهما وشعورها بأنها غريبة وغبر عن ذلك شعراء كثر من بينهم الداخل التي تحدث فيها عن نخلة غريبة رآها في الرصافة .

كما هناك انصراف أغلبية العرب والبربر والأندلس عن العمل في الثقافة وتفرغهم للحرب لكثرة الحروب التي خاضوها والفتن التي وقعت ولأن مردودات الحرب من حيث المال والشهوة أكثر من عادات الثقافة وأسرع ،وكثير من الناس يقبل على الربح السريع، مع ما قد يترتب عليه من مخاطر ليست بعيدة عن المثقفين،من هنا يبدو تذمر أدباء الأندلس وشعرائها من الأوضاع المتقلبة المتغيرة التي يعبرون عنها تلميحا أو يذكرونها بصريح العبارة فصار الشاعر المكتسب يستجدي الممدوح ملكا كان أم غير ذلك طامعا في عطائه حتى لو كان الممدوح ملكا أو وزيرا طمح أن يكون من حاشيته كاتبا أو وزيرا .

والشاعر ابن اللبانة من القلة القليلة الذين بقوا وفيين في مدحهم لممدوحيهم بعد أن دارت عليه الدنيا ظهرها، في أبيات المعتمد بن عباد مثال على كارثة اجتماعية حولت الملك أسير ونقلت بناته الأميرات إلى مجرد غزالات، كما أن في أبيات ابن عبدون شعورا بانهيار الدولة فكان يرثي مملكة زائلة.[6]

[5] ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت دار الجبل، 1401ه/1981، ج1، ص 196

[6] د.خليل محمد ابراهيم، في الأدب الأندلس (قضايا وموضوعات)،ط1،2020، دار الخليج للنشر والتوزيع.

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي

قصائد المدح الممزوج بالغزل لابن اللبانة في مدح ناصر الدولة وجمالياته

- **المدح عند ابن اللبانة**
- **الغزل عند ابن اللبانة**
- **صور المزج بين المدح والغزل لابن اللبانة**
- **جماليات الشعر عند ابن اللبانة**

قصائد المدح الممزوج بالغزل لابن اللبانة في مدح ناصر الدولة وجمالياته:

1المدح عند ابن اللبانة:

قال ابن اللبانة الداني يمدح مبشر الناصر الدولة:

راق الربيع ورق بطبع هواه
فانظر نضارة ارضيه وسمائه
واجعل قرين الورد فيه سلافة
يحكي مشعشعها مصعد مائه
لولا ذبول الورد قلت بأنه
خذ الحبيب عليه صبغ حياته
هيهات أين الورد من خد الذي
لا يستحيل عليك عهد وفائه
الورد ليس صفاتُه وصفاتَه
والطير ليس غناؤها كغنائه
يتنفس الاصباح والريحان من
حركات معطفه وحسن روائه
ويجول في الأرواح روح ما سرت
رباه من تلقائه بلقائه
صرف الهوى جسمي شبيه خياله
من فرط خفته وفرط خفائه

قال ابن اللبانة يمدح ناصر الدولة مبشر بن سليمان صاحب ميروقة:

هو صبح وربيع وحيا
يجتلى أو يجتبي او يجتدي
و هو طود وشهاب ولظى
مارسا أو ما سرى او ماعدا

قال ابن اللبانة يهنئ بمولود ولد في شهر رجب:

نجم تراءى في سماء الحسب

للشهب في إبانه منتسب
وأعربت ليلة ميلاده
بليلة القدراتت في رجب[7]

فهو من الشعراء الدين أخلصوا لممدوحيهم وعرف عليه أنه بقي وفي لبني عباد فزار المعتمد في أسره ومدحه ورثياه بعد موته، فقال محاولا التخفيف عنه وتسويغ موقفه من عدم قبول عطائه:

سقطت من الوفاء على خبير فذرني والذي لك في ضميري

تركت هواك وهو شقيق ديني لئن شقت برودي عن غذور

ولاكنت الطليق من الراريا لئن أصبحت أجحف بالأسير

أسير ولا أسير إلى اغتنام معاذ الله من سوء المصير

إذا ما الشكر كان وإن تناهى على نعمى فما فضل الشكور

وبمأن مكانة ابن اللبانة لم تتأثر عند المعتمد حتى وهو في أسره وكان من الصعب عليه مفارقته قد حظي بحفاوة الترحيب عنده، وصفهما قائلا:"وبلغت حالي عنده من التقريب والترحيب أن أفرطت في الإذلال وانبسطت في الاسترسال".[8]

قال ابن اللبانة:"كنت مع المعتمد بأغمات، فلما قاربت الصدر وأزمعت السفر، صرف حيله، واستنفذ ما قبله، وبعث إلى مع شرف الدولة ولده، وهذا من بنيه أحسن الناس سمتا، وأكثرهم صمتا، تخجله اللفظة، وتجرحه اللحظة، حريص على طلب الآداب، مسارع في اقتناء الكتب، مثابر على نسخ الدوواين مفتح فيها من خطة زهرة الرياحين وكتب معها أبياتا منها[9]:

إليك النزر من كف الأسير وإن تقنع تكن العبد الشكور

تقبل مايذوب له حياء وإن عذرته حالات الفقير

فأمتنعت من ذلك عليه وأجبته بأبيات منها:

تركت هواك وهو شقيق ديني لئن شتت برودي عن غدور

ولا كنت الطليق من الرزايا إذا أصبحت أجحف بالأسير

---

[7] ديوان الشعر لابن اللبانة، مرجع سابق، ص34
[8] رغد علي الزبون،شعر ابن اللبانة الذاني، ع2، م42،2005، ص211
[9] رغده علي الزبون، شعر ابن اللبانة، عدد2،مجلة42، 2005، ص412

جذيمة أنت، والزباء خانت وما أنا من يقصر عن قصير

تصرف في الندى حيل المعالي فتسمح من قليل بالكثير

وأعجب منك أنك في ظلام وترفع للعفاة منار نور

رويدك سوف توسعني سرورا إذا عاد ارتقاؤك للسرير

وسوف تحلني رب المعالي غداة تحل في تلك القصور

تزيد على ابن مروان عطاء بها وأزيد ثم على جرير

تأهب أن تعود إلى طلوع فليس الخسف ملتزم البدور

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد، وهو غلام وسيم، وقد اتخذ الصياغة صناعة، وكان يلقب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة،فنظر إليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ، وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة:

شكاتنا لكي افخر العلا عظمت والزرء يعظم ممن قدره عظما

طوقت من نائبات الدهر مخنقة ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

وعاد طوقك في دكان قارعة من بعد ماكنت في قصر حكى ارما

صرفت في آلة الصواغ أنملة لم تدر إلا الندى والسيف والقلما

يد عهدتك التقبيل تبسطها فتستقبل الثريا أن يكون فما

يا صانغا كانت العليا تصاغ له حليا وكان عليه الحلي منتظما

للنفخ في الصور هول ماحكاه سوى هول رأيتك فيه تنفخ الفحما

وددت إذ نظرت عيني إليك به لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى

ماخطك الدهر لما حط عن شرف ولا تحيف من أخلاقك الكرما

لح في العلا كوكبا،لم تلح قمرا وقم بها ربوة إن لم تقم علما

واصبر فريتما أحمدت عاقبة من يلزم الصبر يحمد غبا ما لزما

والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت ولو وفي لك دمع الغيث

أبكى حديثك حتى الدر حين غدا يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما[10]

ويجعل ابن اللبانة وصف الربيع والرياضة مقدمات لقصائده المدحية في أحيان كثيرة، وربما أن ذلك جاء بفعل نفسه التي تعشق الطبيعة ومفاتنها، ثم أنها ترفق المدح الذي هو غايته، وتجعله لطيفا يستمد صفاته من الطبيعة، فتعدو تلك الطبيعة معينة للشاعر في رسم أجمل اللوحات المدحية، وإسباغ أحسن الصفات وأرقها على الممدوح، فما هو يخاطب أبا الفضل بن شرف مادحا إياه، فيفتتح القصيدة بقوله:

ياروضة أضحى النسيم لسانها يصف الذي تخفيه من آراجها

لقد غدا هذا الممدوح روضة غطاء، ولسانه هو النسيم العليل الذي يفوح بالرائحة والأرج الطيب وفي هذا رابط لطيف بين الممدوح والروضة والنسيم، إذ أن الممدوح جميل كالروضة الخضراء ولسانه لا ينطق إلا الخير والحديث الحسن لذا فإنه كالنسيم العليل الذي يجلب الروائح والعطور[11].

ولم يتوقف وصف الروضة عنده على فن المديح ومزجه به إنها يستثمره في الرثاء مستغلا صفات العطاء والكرم الذي تقدمه الروضة المثمرة من غداء وجمال هواء نقي يقول في إحدى مرثياته:

ابكوا المؤيد بالنجيع فما قضى حق المكارم من بكاء بدمعة

كنابه في روض عز مثمر نجني الأماني غضه من نبعه

فهنا تحسر على المرئي،ويطلب من الناس أن يبكوا معه ويحزنوا عليه، لأنه ومن حوله كانوا يعيشون في كنف ذلك المرثي بهناء ورغد العيش فهو لا يمثل روضة واحدة، إنما مجموعة رياض "كنا به في روض عز مثمر "يعني تتسع للناس جميعا، وهي رياض مثمرة تفيض بالكرم والعز والعطاء، بل إن هذا المرثي نبع يرده كل ظمآن فهو سبيل لتحقيق الأماني إن هذا المزج بين الروضة غدت الوسيلة التي ساعدت الشاعر في تقريب وتصوير معاناته وحزنه نتيجة فقدانه المرثي إذ هي روضة سعادة وهناء كان ينقيها الشاعر في حياته المرثي لكن ذلك الجاه والسلطة زالت بزواله.

[10] أحمد بن محمد المقري التلمساني، مح يوسف الشيخ محمد البقاعي، نفح الطيب، ج5، دار الكفر للطباعة والنشر والتوزيع، ص41

[11] ديوان شعر ابن اللبانة، مرجع سابق

وكان للبحر والأنهار مكانا في قلب الشاعر ليعبر به عن حسه المرهف إذ إن الممدوح أو المرثي عندهم بحر في الكرم والسخاء، فضلا عن أنه ـ البحرـ مخيف بأمواجه وظلماته يقول ابن اللبانة مادحا :

وبحر سوى الهوى قد ركبته لأمر كلا البحرين مركبه صعب

له لجج خضر كما أخضرت الرُبى إلى أخر بيض كما ابيضت الكتب

تهوى بين عصف الريح والموج مثلما هوى بين أضلاع المعنى به قلب

بحر الممدوح ما هو إلا بحر عشقه الشاعر فركب بحرين صعبي المنال بحر الممدوح وبحر الهوى، ثم يستمر صفات البحر الحقيقي من لج وأمواج وعصف رياح لكي يتخذ منها وسيلة للتعبير حبه للممدوح حيث إن لجج البحر (الممدوح) وأعماقه ليست مظلمة كما البحر الحقيقي إنما هي خضراء كاخضرار الرُبى وبعضها صاف لونها كبياض كثبان الرمال وعليه فإن حاجز الخوف وصعوبة ركوب بحر الممدوح قد انكسرت عند الشاعر إذا كشف سريرته التي هي خضراء وبيضاء سهلة المنال وليست سوداء مظلمة مخيفة كتلك التي في البحر العادي ثم إن هوى الشاعر الممدوح عاصف كتلك الرياح التي تعصف الأمواج وفي هذا دليل على شدة حبه للممدوح وتعلقه به حيث تعصف بين ظلوعه نيران العشق إذن فإن الأبيات توحي بالمقاربة بين بحرين بحر حقيقي يتصف بصعوبة المركب وبحر مجازي وهو الممدوح نفسه وهو بحر يتصف بصعوبة الركوب أيضا.

إلا أنه نفسه وأعماقه ليست سوداء كما البحر الحقيقي إنما خضراء وبيضاء سهلة الوصول إليها وكل هذا أدى بالشاعر إلى الهيام به فأصبح معنى في عشقه تموج بين ضلوعه أحاسيس ومشاعر يحركها الهوى كما الأمواج في البحر تحركها الرياح .

والممذوح عنده أيضا نهر أحاطت به الخضرة والأعشاب فزدته بهاءًا وجمالا وزينة يقول في مدح ابن المعتمد بن عباد :

وما نهر أعشب النبت حوله ولكنه سيف حمائله خضر

إنه يستدعى صورة النهر والحشائش الخضراء حوله ليسبغها على ممدوحه الذي يخال للناظر بأنه نهر ماء لامع محاط بالأعشاب الخضراء لكنه في الحقيقة هو

كالسيف في قوته وحدته ولمعانه وتحمله حمائل خضراء اللون ما جعله أكثر جمالا.

ويأتي النهر في سياق المدح إذ يجعل ابن اللبانة من المعتمد نهرا كان يشرب عنده أنواعا متنوعة من الأشربة، ويصل في بعض الأحيان إلى الثمالة وما هذا إلا كناية عن العز الذي كان يحياه أيام ملك المعتمد ولكنه زال مع زوال الملك .

نهر شربت بعيريه على صور كانت لها فئ قبل الراح سورات

يأتي بالنهر ليدلل من خلاله كرم المعتمد وجمال مجلسه الذي يعج بالمسامرة وما تتطلبه من شراب وغيره فيكون النهر هو مصدر اللذة والأنس وهو المعتمد ذاته إلا أن هذا فني، وانتهى بفناء المعتمد وزوال ملكه.

وتأتي الغيوم والسحاب في السماء كعناصر مائية تمثل مصدر الماء والندى ليستدعيها ابن اللبانة في أنساقه الشعرية ويجعلها ويسلته في تجسيد أفكار وتأكيد معانيه والمزن قد يكون ماطرا، جالب الخير والغيث كما قد تكون أحيانا مجرد بخار لا جدوى منه فهي كصاحب ميورقة، وقد أصابه المرض :

والسحب صاحبها دعر فما نشأت ولا استهل لها فوق الرُبى مطر[12]

لحق بناصر الدولة مبشر بن سليمان بميورقة، و يبدو أن كلا منهما أهدى صاحبه خير ما عنده، أهداه ناصر الدولة الأموال و أهداه ابن اللبانة الأشعار و المدائح البديعة، و ما زال ابن اللبانة يعيش في رعايته حتى توفي في الجزيرة، و ضرب ابن اللبانة مثلا رائعا في الوفاء للمعتمد بن عباد، فقد بكى دولته مرارا و تكرارا، و من أروع ما قاله من ذلك دالية، و هو يفتتحها على هذه الشاكلة:

تبكي السماء بدمع رائح غادى على البهاليل من أبناء عبّاد
على الجبال التي هئدت قواعدها و كانت الأرض منهم ذات أوتاد
عرّيسة دخلتها النائبات على أساود منهم فيها و آساد
إن يخلعوا فبنو العبّاس قد خلعوا و قد خلت قبل حمص أرض بغداد

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضمّ رحلك و اجمع فضلة الزاد
و يا مؤمّل واديهم لتسكنه خفّ القطين و جفّ الزّرع بالوادي

[12] د.عمر قاوس الكفاوين، وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة الداني الأندلسي، قسم اللغة وآدابها،جامعة الأردن، ص244

و هو يقول إن السماء تبكى بسحبها على السادة من بني عباد الذين كانت الأندلس ترسو بهم كما ترسو الأرض بالجبال و إن قصورهم بإشبيلية لغابة اقتحمتها الكوارث على أسد مفترسة و حيّات ضخمة سامة. و يعزّى ابن اللبانة نفسه و أهل إشبيلية بأن لهم أسوة في خلع آل عباد بمن خلعوا قبلهم من الخلفاء العباسيين. و يلتفت إلى من كانوا ينزلون بالمعتمد و آبائه طالبين القرى و الضيافة، فيقول لهم إن بيت الكرم و الجود أغلقت أبوابه، فاستعدوا للرحيل و اجمعوا بقايا الزاد إن كانت هناك بقايا، و يقول لمن كانوا يأوون إلى ظلالهم رحل السكان و جفّ الزرع بالوادي الذي كان خصبا ممرعا. و يصوّر مشهد المعتمد و أهله، و قد هبطوا من قصورهم لركوب السفن في نهر إشبيلية الكبير متجهين إلى طنجة و قد تجمع أهلها يودّعونهم، يقول:

نسيت إلا غداة النّهر كونهم في المنشآت كأموات بألحاد
و الناس قد ملأوا العبرين و اعتبروا من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حطّ القناع فلم تستر مخدّرة و مزّقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجّت كلّ صارخة و صارخ من مفدّاة و من فادي
سارت سفائنهم و النّوح يصحبها كأنها إبل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع و كم حملت تلك القطائع من قطعات أكباد

يقول إنني مهما نسيت فلن أنس رحيل المعتمد و آله في السفن، و كأنها مقابر نزلوها و الناس قد ملأوا الشاطئين متعجبين لتلك اللآلئ من النساء تطفو على الماء فوق زبده و لا ترسب في القاع. و يقول إنهن سرن من قصورهن سافرات لحزنهن يلطمن و يخمشن وجوههن بأظافرهن لفجيعتهن. و ضج الرجال و النساء على الشاطئين، و ضجّ من في السفن و ضج المفدّون الملوحون لهم بأيديهم، و سارت السفن يصحبها الندب و النواح كما يصحب الحداء الإبل السائرة في الصحراء، و كم سال في ماء الوادي الكبير من دمع و كم حملت تلك السفن من فلذات أكباد. و المرثية طويلة. و وفد ابن اللبانة على المعتمد في أغمات كما يقول ابن بسام وفادة وفاء لا وفادة استجداء، و انقطع إليه انقطاع وداد لا انقطاع استرفاد، و يقول إنه مدحه للوفاء بأحسن مما مدحه به للعطاء، و بذلك ملأ قلوب العرب في كل مكان-

إلى اليوم-عطفا على المعتمد. و كأنما غسل بدموعه عليه سيئات حكمه من أدائه الجزية للملك النصراني في الشمال و محاربته لجيرانه من الأمراء المسلمين أبناء دينه و إنفاقه الأموال بسخاء على مجونه و ملذاته كأنه يملك خزائن قارون ثم موقفه بأخرة من ابن تاشفين بطل الزلاقة منذ سنوات تعد على أصابع اليد الوحدة، إذ استنجد ضده بألفونس السادس عدو الإسلام و المسلمين. كل هذه السيئات استطاع ابن اللبانة أن يمحو دنسها عن المعتمد بعويله و تفجعه الملتاع على دولته. و كما كان ابن اللبانة شاعرا كبيرا كان وشاحا كبيرا أيضا، و له موشحات كثيرة مدح بها المعتمد بن عباد، و هو أحد أربعة من وشّاحي الأندلس أدار عليهم ابن سناء الملك اختياراته من موشحات الأندلسيين في كتابه «دار الطراز»[13].

2 ــ الغزل عند ابن اللبانة:

اشتملت قصائده المدحية على نوع أخر من المقدمات وهي المقدمة الغزلية، وقد اتسمت هذه المقدمة الغزلية بالتقليد وشيء من التجديد جعلها تختلف عن المقدمات الغزلية الموروثة والتي غالبا ما تكون مفعمة بالعواطف،ووصف المعاناة مع المحبوبة ومع يخلفه بعدها من حسرة في القلب وشوق يدفع إلى الرحلة إليها والسعي وراءها لنيل الوصال هذا إذا كان الغزل عذريا عفيفا، أما إذا كان غزلا ماديا حسيا فغنه يميل إلى وصف المحبوبة وإبراز مفاتنها الجسدية دون حياء ولاخجل كما كان في الجاهلية لما يتعلق الغزل بالمرأة فلا قيود له فمهد ابن اللبانة في بعض مدائحه بالغزل التقليدي الذي خضع للتغير المادي المتمثل في معالم البيئة ومتطلبات الحياة وقساوة العيش التي كان يعيشيها الشاعر سواء كانت مادية أو معنوية، لذا تحول بهذه المقدمة إلى ما يشبه الألحان الراقصة نتيجة لما حققه لها من عذوبة ورشاقة وسهولة في الألفاظ والصور التشبيهات التي استوحاها من المنادمات والحفلات التي كان يعيشها في قصور الأمراء والملوك الذين انقطع لمدحهم، نتيجة لاعتماده طريقة شعراء الأندلس في مزج الغزل بوصف الطبيعة وخلع ألفاظ الحب والوجد على ظواهرها حيث يعقدون مشابهات رائعة بين محاسن الحبيبة ومفاتن الطبيعة، فيشبهون بالروض وخذها وعيونها بالورد والفل والريحان وقد يناجونها وكأنها الحبيبة التي أذاقتهم مرارة الصدر وحرقة النوى بل تتحول ظواهرها في رؤيا هم إلى ذوات تحن عليهم وتشفق على بلواهم وتشاركهم

[13] شوقي ضيف ابن اللبانة، عصر الدول و الإمارات ،الأندلس، كتاب الكتروني، ص342-344

أحزانهم ومسيراتهم فالنسيم يتحدث والنهر يصغى والطيور تغني والأغصان ترقص والسماء تبكي والورود تذبل يؤكد هدا المقري صاحب النفح حيث ذكر أن شعراء الأندلس:" إدا انغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيونا ومن ألآس أصداغا ومن السفرجل نهودا ومن قضيب السكر قدودا ومن قلوب اللوز وسور التفاح مبسما ومن العنب رضابا"[14].

وقصيدة ابن اللبانة العينية خير نموذج يمكن أن يذكر في هذا الصدد إذ أنها تمثل هذا المزج وتجسمه لأن اثر التعاطف والتمازج بين الشاعر والطبيعة واضح فيها حيث ألفاظ الطبيعة وأوصافها وألوانها توشي معظم أبياتها يقول ابن اللبانة :

ضحك الربيع بحيث تلك الأربع لما بكى الغيث فيه مدمع

رق الصبا في خذه ورحيقه في كفه فموشع ومتشعشع

وعلى فروع الأيك شاء يحتوي طربا لأخر تحتويه الأضلع

يندى له رطب الهواء فيغتدي ويظله ورق الغصون فيهجع

تخذ الأراك أريكة لمنامه فله على الأسحار فيها مضجع

حتى إذ ما هزه نفس الصبا والصبح هزك منه شدو مبدع

وكذلك يتجلى أثر ذلك المزج في مقدمته الغزلية التي مهد بها لقصيدته التي مدح بها مبشرا العامري حيث استهلها بقوله :

بكت عند توديعي فما علم الركب أذاك سقيط الظل أم اللؤلؤ رطب

وتابعها سرب وإني المخطئ نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

عقيلة بيت المجد لم تراها الدُجى ولا لمحتها الشمس وهي لها ترب

ظبي الهند مما دب عنها وإنما تلطف لي فيها بخذعته الحب

سرت وبروج النيرات حُبابُها وقدامها من كل خاطفة قبٍ

ومن القصائد ذوات المقدمات الغزلية قصيدته في مدح مبشر العامري والتي تقول فيها:

[14] ــ د.أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، بيروت، دار القلم.

خلعت عذاري في عذار على خد حكى خضرة الريحان في حمرة الورد

صقيل كمثل السيف أخضر مثله يبيت ولكن من فؤادي في غمد

كفاني أنا بالزبر جد أشتكي فقد صار لي قفلا على الدر والشهد

يقر بعيني أن أزور كناسه ولوكان محفوفا بضارية الأسد[15]

صور المزج بين المدح والغزل لابن اللبانة:

انتهج ابن اللبانة نهجا غريبا في قصائده المدحية، حيث عدل عن النهج التقليدي في افتتاح المدحة بمقدمة غزلية ولكن لا إلى مقدمة أخرى كما فعل أبو أنس عندما عدل عن مقدمات السابقة ورفضها ولجأ إلى المقدمة الخمرية ودعا إليها، بل إن شاعر ابن اللبانة سلك مسلك جديدا وغريبا، لأنه لم يقصر غزله على المقدمة أو الافتتاحية، وإنما جعله يشمل القصيدة كلها حيث مزج المدح بالغزل في جميع أبيات القصيدة، وتعمد أن يجعل صدر كل بيت منها غزلا وعجزه مدحا وذلك في منظومته التي مدح بها مبشرا العامري والتي يقول فيها:

وضحت وقد فضحت ضياء النير فكأنما التحقت ببشر مبشر

وتسمت عن جوهر فحسبته ما قلدته محامدي من جوهر

وتكلمت فكأن طيب حديثها متعت منه بطيب مسك أذفر

هزت بنعمة لفظها نفسي كما هزت بذكراه أعالي المنبر

جادت على بوصلها فكأنه جدوى يديه على المقل المقتر

ولتمت فاها فاعتقدت بأنني من كفه سوغت لتم الخنصر

سمحت بتعنيفي فقلت صنيعة سمحت غلاه بها فلم تتعذر

هذه القصيدة تبين أن الشاعر استطاع من خلال نهجه هذا إن يطور الغزل الممهد للمدح بصورة ما، حيث جاءت فيها معاني المدح ممتزجة بمعاني الغزل ومتغلغلة فيه بشكل لطيف لا يمكن فصله عنه، وهي طريقة لم يسبقه إليها أحد من المتقدمين أو المتأخرين أو المخضرمين، وأكد ذلك المراكشي في كتابه المعجب حيث قال:"

---

[15] ــ ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب،ط1، ت: إبراهيم الأبياري، د.حامد عبد الحميد، د.أحمد أحمد بدوي، مراجعة د. طه حسين، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، 1954م

ولما خلع المعتمد على الله وأخرج منن اشبيلية، لم يزل أبو بكر هذا يتقلب في البلاد، إلى أن لحق بجزيرة ميورقة، وبها مبشر العامري الملقب بالناصر، فحظي عنده وعلت حاله معه، وله فيه قصائد أجاد فيها ما شاء، فمنها قصيدة ركب فيها طريقة لم أسمع بها لمتقدم ولا متأخر، وذلك أنه جعلها من أولها إلى أخرها، صدر البيت غزل وعجزه مدح، وهذا لم أسمع به لأحد ".[16]

لكن الدكتور السعيد ذكر بأن شاعرنا سبق إلى هذا النهج، وأن الذي سبقه إليه هو الشاعر القزاز في مدحه لابن صمادح لكنه لم يذكر شيئا من ذلك المدح ولم يشر إلى المرجع الذي نقل منه ذلك الخير، الأمر الذي يدعنا نقول إذا كان المراكشي لم يسمع من قبل بطريقة المزج التي اتبعها ابن اللبانة في قصيدته لمدح مبشر العامري، فقد فاته الوقوف على قطعة من خمسة أبيات وقفنا عليها عند المقري الذي نص أن ابن القزاز قالها في مدح ابن صمادح وقد مزج فيها المدح بالغزل فقال:

نفى الحب عن مقلتيَ الكرى كما نفى عن يدي العدم

فقد فر حبك في خاطري كما فر في راحتيك الكرم

وفر سلوك عن فكرتي كما فر عن عرضه كل دم

فحبي ومفخره باقيان لا يذهبان بطول القدم

فأبقى لي الحب خالُ وجد وأبقى له الفخر خالُ وعمُ

وهذه القطعة لا تختلف كثيرا عن قصيدة ابن اللبانة المذكورة ولكنها أسبق تأليفا كما يتضح من مدة حكم الشخصين اللذين وجهت لهما القصيدة والقطعة، فابن صمادح حكم المرية في الفترة (443ـــــ433ه) أما مبشر العامري فحكم ميورقة في الفترة (486ه-508).

وهذا المنهج الذي اتبعه الشاعر ابن اللبانة يعتبر لون من ألوان التفنن والتصنع الذي التجأ إليها،عندما تغير الدوافع المحفزة للنظم لديه، وتبدلت علاقته ممدوحية، فبعد أن كانت علاقة صداقة حب و إعجاب، أصبحت ترقبا لنيل إعجاب واندهاش الممدوح وتقربا إليه أملا في الحصول على هباته وصلاته ورضاه، مما يشير إلى

[16] ـ ابراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، القاهرة مكتبة الشباب، 1989

تحوله من شاعر مطبوع ينفق من نور قلبه ودمه إلى شاعر متفنن في النظم والإبداع والسبك.

كما تميز هذا اللون الذي انتهجه بغرابة في نوع المزج رغم التأثر بشعراء المشرق والمغرب لان المعروف عند شعراء المدح أن تمزج مدائحهم بالعتاب مثل ما فعل ابو الطيب المتنبي الذي مزج مدحه بعتاب ممدوحه سيف الدولة فقال:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ويلاحظ على مزج المتنبي أنه استطاع من خلاله أن يكشف عن طبعه واعتزازه بنفسه لأنه في الوقت الذي يعاتب فيه يفخر بنفسه، ويناظر بينه وبين الآخرين من المستصغرين في نظره ويجعل شعره أعلى قيمة من عطاء الممدوح، لأن إخلاصه أخوي فهو لايقدر بثمن،ومن هنا نقول أنا أبا الطيب المتنبي أمزج المدح بما يزعزعه ويضعفه، وهذا يختلف كل الاختلاف عما يفعل الشاعر الأندلسي ابن اللبانة الذي استفاد من منهج المزج لدى شعراء المشرق والمغرب فتفادى أخطائهم، كما تعلم من منهج شعراء الأندلس الذين مزجوا قبله بين المدح والاستعطاف، مثلما فعل أسلافهم من شعراء العرب القدامى أمثال النابغة الذبياني وغيره ونخص بالذكر من شعراء الأندلس الذين استفاد منهم ابن اللبانة في منهج المزج ابن زيدون الذي مزج المدح بالعتاب والاستعطاف والشكوى فقال يشكو ويمدح ابن جهور ويعاتبه :

أبا الحزم إني في عتابك مائل على جانب تأوي إليه العلى سهل

حمائم شكوى صبحتك، هوادلا تناديك من أفنان آدابي الهدل

أفي العدل إن وافتك تنري رسائلي فلم تتركن وضعا لها في يدي عدل؟

ولا غرابة في أن يستفيذ ابن اللبانة من نهج ابن زيدون في المزج لان ابن زيدون شاعر علا شأنه وانطلق لسانه وتميز نظمه بصور شعرية رائعة في مختلف الموضوعات التي طرقها، ولذا كان تأثر شاعرنا به، ومما يقوي هذا الاحتمال كونهما شعراء بلاط واحد، فاحتمال التأثر والتأثير وارد دون ريب[17].

[17] شعر ابن اللبانة الداني ــ دراسة وصفية تحليلية ـ مرجع سابق، ص101- 99

ومن مظاهر تحولات المديح في هدا العهد اختلاط المديح بالغزل كقول ابن عمار يمدح الأمير المعتصد بن عباد :

أندى على الأكباد من قطر الندى وألد في الأجفان من سنة الكرى

قداح زند المجد لا ينفك من دار الوغي إلا إلى دار القرى

كما شهد المديح في هذا العهد تطورا على مستوى البناء الفني، من ذلك قول محمد بن عباد القرار مادحا أمير المرية أبا صمادح :

نفى الحب عن مقلتي الكرى كما قد نفى عن يدي العدم

فقد قر حبك في خاطري كما قر في راحتيك الكرم

جماليات الشعر عند ابن اللبانة:

المستوى التركيبي للصورة الشعرية:

لكلِّ لغةٍ نظامها الأسلوبي في ترتيب ألفاظها، فمنها ما تختزل اللفظ، ومنها ما تستطرد به، غير أن اللغة العربية بطبيعتها تميل إلى الإيجاز مع مراعاة المقام، فكيف إذا كانت اللغة لغة شعر؟ لاشك أنها تميل إلى الاختزال الذي يمثلُّ جزءًا من أجزاء جمالية الشعر؛ لذا اتسمت الجملة العربية بتركيب جمالي لعله لا يتوافر في اللغات الأخرى، فضلًا عن امتلاك الشعراء طاقاتٍ إبداعية أخذت بمواهبهم إلى إبراز صور شعرية تنشد الجمال الفني في أسلوبها، إذ يخضع إلى تقلب حالتهم النفسية التي تعصف

في مشاعرهم؛ لتكسر جمود اللغة التقريرية، وترتقي إلى المستوى التركيبي وما يطرأ عليه من إنزياحات أسلوبية، فليس((الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل... وكل ما يقصد به التصوير، وكأن الصورة للجملة الشعرية لا تتجلى في الترتيب اللغوي للكلمات، بل في تناسق الدلالة وكيفية إبرازها للمتلقي والتأثير فيه، فدراسة((الخطاب من وجهة تركيبية تفضي حتمًا إلى اكتناه دلالته؛ لأن التركيب متى افتقد الدلالة افتقد قيمته ، والدلالة الشعرية ما دام التخيل يساعدها على النقل النفسي من مخيلة الشاعر إلى المتلقي، فلا تفقد تركيبها الأسلوبي؛ لأنها تراكيب ارتبط وجودها بالحسِّ والعاطفة، وفيما يأتي الأساليب التركيبية التي شكلت حضورًا في شعر ابن اللبَّانة:

أساليب الطلب:

أسلوب التمني

إنَّ تعدد الأساليب الإنشائية في اللغة العربية يدلُّ على ثرائها الدلالي، واتخاذ الجملة الشعرية أبعادًا تنفتح على الانزياحات التي تستوعب المواقف الخطابية، وعُرِّفَ بأنه:توقع أمر محبوب في المستقبل، والكلمة الموضوعة له حقيقة هي(ليت)،وحدها، وعلى الرغم من أن التمني جزءٌ من أساليب الطلب فالطلب يتعلق باللسان، والتمني شئٌ يهجس في القلب يقدِّره المتمني، لكنه لم يقف على الحقيقة المعيارية النحوية، بل يتجرد منها، وأسلوبه يخرج إلى دلالاتٍ إنزياحية تواصلية بين الشاعر والمتلقي، يفرضها السياق المرتبط بنفسية الشاعر وهاجسه.
أما الدلالات الجمالية في شعره، فهي:

إبراز المعنى المستحيل في صورة الممكن القريب: ينحرف أسلوب التمني عن حقيقته النحوية إلى أسلوب إنزياحي؛ لإبراز المستحيل في الممكن القريب، سعيًا لتقريب ما لم يمكن تحقيقه في الواقع، إذ يقول ابن اللبَّانة:

يا كَوْكبَ النَّيروزِ في بهْجَةٍ
جاءَتْ عطايا تُهادى بهِ
لَوْ أنَّ لي قوَّةَ عهْدِ الصِّبا
أَسْنَى منَ البدْرِ المُنيرِ اللَّياحْ
تهاديَ الغيدِ غداةَ اقتراحْ
لمْ أتركِ النَّيروزَ دونَ اصطباحْ

استهل الشاعر صورته الشعرية بحرف النداء(يا)دلالة على التنبيه، وأشفعه بالاستعارة التصريحية(كوكب النيروز)إذ استعار(الكوكب)يوم(النيروز)دلالة على جماليته وصفائه، ثم شبه عطايا النيروز من أغصان الأشجار والأزهار بالفتاة الناعمة اللينة، ووجه الشبه هو النعومة والتثني بلين، وأعقبه بالتمني في البيت الثالث، إذ تمنى الشاعر لو كان يمتلك قوة عهد الصبا لَتمتع بأجواء النيروز، لكنه استحال عليه، فأخرج المعنى المستحيل في صورة الممكن، فضلًا عن النفي الضمني(لو أن)...الذي عضد المعنى، وأصل الكلام(:لم أترك النيروز من دون اصطباح في بهجته؛ لأني لم أمتلك قوة عهد الصبا)؛ لذا جاء الأسلوب بإنزياح تركيبي، فأنزله منزلة القريب الممكن.

الترجي:

هو أسلوب بلاغي يؤدي وظيفة جمالية في الشعر، تقوم على كسر الحواجز اللغوية بتضافر عناصر السياق الشعري، ويوظف في أسلوب التمني مما يرجى حصوله وليس مستحيلًا، كان طلبه ترجيً ، ومن أمثلته قول الشاعر :

قَطعْتُ إليْكَ البَحْرَ أسْتصْحِبُ الصَّبا
وآملُ منْ ذاكَ الحِجَابِ رفوعه
وأسْلُكُ حيْثُ البرْقُ في حِفْظِهِ سلَكْ
لعلِّي بعيْنِ الشَّوْقِ أنْ أتأملَكْ

يتجه الانزياح نحو وظيفة عاطفية أعلى في شدَّتها ودرجاتها، وعضد من وجوده التأمل، مما جعل الشاعر يتمنى رؤية محبوبته (بعين الشوق)وتأملها على سبيل الاستعارة المكنية فالأداة(لعل)وظفت لأمر مرغوب فيه، ممكن الحصول عليه، وغير مستحيل الوقوع.

العناية بالمعنى القابل للحصول والتشوق إليه:

هو إنزياح دلالي يبرهن رغبة الشاعر فيه، والبوح عنه يتمثل بوساطة تطابق الإنزياح مع دلالة الواقع، ومن أمثلته يقول الشاعر

يا مَنْ عليْهِ منَ المكارِمِ والعُلى
هَلْ نظْرةٌ توحي إليَّ
وعطْفة بُرْدٌ بِتَطْريزِ المَحَامِدِ معْلَمُ
تَنْدَى عليَّ ورأفةٌ تترَحَمُ

استهل الشاعر نصه بحرف النداء(يا)دلالة على الاستغاثة، وحرص في البيت الثاني على توظيف(نظرة توحي...ورأفة) ؛ ليعضد تمنيه ويقوّيه، فضلًا عن حذف حرف(هل)، الذي سبقها لسرعة الإخبار، وتقدير الكلام(:وهل عطفة...، وهل رأفة)...؛ لإبراز التمني من جهة، وبيان حصوله والتشوق إليه من جهة أخرى، فتمنى من ممدوحه أن يشير عليه بنظرة خفية، تحمل في أعقابها السخاء والرأفة بالرحمة عليه، ووظف الفعل المضارع(تُوحي)؛ ليتطابق معناه اللغوي مع معناه السياقي الحامل للسخاء والرحمة، إذ الوحي إعلام في خفاء، والطلب إعلام يُراد تنفيذه في الخفاء، فالإنزياح الدلالي برَّز شدَّة شوق المتكلم إلى السخاء عليه، ورغبته بالحصول على ما يتمناه من رأفة تُرحم على حين خلسة من عيون الحاضرين.

الشعار بعزة المتمنى وندرته:

إنزياح أسلوبي يبالغ فيه المتكلم في إبراز عدم حصوله على طلبه في صورة الممتنع؛ لإستمالة عواطف المتلقي، وجذب انتباهه وحثِّه على ما يصبو إليه، إذ يقول الشاعر:

لَوِ اسْتَمْطَرَ النَّاسُ الغَمامَ بذكْرِهِ
لَقامَ على الصَّلْدِ الصَّفا لهمُ الخَصْبُ ينزل الشاعر ذكر ممدوحه على لسان الناس منزلة العزيز النادر عن طريق التمني المتمثل في الشطر الأول(لو استمطر)...، إذ لمَّا رأى أسباب ذكره انقطعت، برَّز المتمنى بصورة عزيزة، فاستعان بالاستعارة التصريحية (استمطر الناس الغمام)وشبَّه ذكره بالغمام، ووجه الشبه هو مثلما الغيث يسقي الأرض وينبتها، فذكره يسقي الحجر الأملس، الذي لا مسامات فيه وكأنه عاقر لا خصب ينبته ، ووظف الغمام بدلًا من الغيث؛ لاشتماله على السماء وسترها كلها، وكأنَّه لا حجر موجود إلا أصابه الغمام؛ لإظهار المبالغة فيه بعد استحالة حصوله، فتوظيف(لو)بدلًا من(ليت)؛ لأنها ساعدت على أداء هذه المبالغة، فضلًا عن إفادتها الامتناع في أصلها.

أسلوب الاستفهام:

يعرِّف البلاغيون الاستفهام بأنه نوع من أنواع الإنشاء، وهو طلب حصول صورة الشئ في الذهن، وللاستفهام أدوات خاصة تسهم في فتح فضاء الدلالة لدى المتلقي بوساطة الانزياح السياقي؛ لأنه أدخل في باب الدراسة مزايا الأسلوب والكشف عن جوانبه ذات الظلال والإيماض هو بحث ألوان الحسِّ، وما يخطر في القلب مما يثيره الاستفهام حين لا يراد به طلب الفهم، لأن دلالات التراكيب تتيح قراءة جديدة عندما تكون متصلة بالحسِّ والشعور.[18]

الخاتمة

وفي الأخير نخلص إلى أن أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة الداني من الشعراء الدين أخلصوا إلى ممدوحيهم وهو واحد من الشعراء الأندلس الدين

[18] بلاغة الصورة الشعرية في شعر ابن اللَّبانة الأندلسي مقاربة أسلوبية،م .د .حيدر رضا كريم، مجلة كلية التربية للبنات المجلد29 /2018

عاشوا بين القرنين الخامس والسادس هجري، تردد على ملوك الطوائف، وتشبث ببني عباد لاسيما المعتمد الذي كرس له جل أشعاره فكان معدودا في جملة شعرائه في أخر مدته.

كان ذا خلق رفيع والدليل على ذلك لم يترك القشور من لباب شعره بل جمعه واستخرج منه عبر وحكم .

لقد شكلت تقنية المدح الممزوج بالغزل في شعر ابن اللبانة منطلقا إبداعيا وصورا جمالية تعكس مدى إبداع الشاعر وذكائه وبلاغة فصاحته.

أبدع ابن اللبانة في المزج بين المدح والغزل فبرع في تصوير قصائده الشعرية للممدوحه فوصف حبه وتعلقه بناصر الدولة فستعمل كل ما يجعله يتفنن في تصوير مشاعره لهم في أحسن صورة وأبلغ تعبير، فحضي من الحكام أموالا وهدايا بسبب ذلك، أرفق المدح الذي هو غايته في قصائده من الطبيعة ومفاتنها مستمدا منها صفاته مما جعله يرسم أسم اللوحات المدحية، وإسباغ أحسن الصفات وأرقها على الممدوح .

واستخلصت من خلال بحثي المتواضع في المراجع أن شعر ابن اللبانة لم يجمع كله ولم يحضى شعره من حيث الجمع والتدوين ما حظي به هو في وقت ناصر الدولة مع الأسف.

من مميزات الشاعر ابن اللبانة انه يمزج المدح بالمقدمة الغزلية وله طريقة غريبة في المزج جعله يشمل أبيات القصيدة كلها، أن الأفكار والمعاني في قصائده المدحية ارتبطت بالصفات الخُلقية والخَلقية ومظاهر الحضارة والأحداث الاجتماعية.

هذا ما وصلت إليه نوعا ما في بحثي المتواضع وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

:Resume

l'hégire. Louange et filature, il ط andalous qui a vécu entre l'un des poètes Ibn al-Labbana est excellait dans la représentation de ses poèmes poétiques pour le louangé, décrivant son amour et .son attachement aux partisans de l'État

:Problematique

Quel est le style d'Ibn al-Labbana lorsqu'il mêle louange et filature ? Quels sont les phénomènes artistiques les plus importants qui ont émergé dans ses poèmes ?

Mon plan comprenait : une introduction, deux chapitres et une conclusion. Dans l'introduction, j'ai traité en quelques mots de la généralité de la poésie andalouse et de sa civilisation. Le premier chapitre est une introduction et a parlé de la sssspoésie à l'ère des sectes et de la ère des Almoravides.Louanges mêlées de filatures d'Ibn al-Labbana, images de métissage et esthétique de sa poésie, et au final la conclusion résumait les découvertes les plus importantes de cette modeste étude.

Mots-clés : Ibn al-Labbana, al-Mu'tamid Nasir al-Dawla, Mamdouha, mêlant louange et filature, Andalousie, poètes

الملخص:

ابن اللبانة من شعراء الأندلس، تردد على ملوك الطوائف، كان معدودا في جملة شعراء المعتمد لبني عباد في أخر مدته، أبدع ابن اللبانة في المزج بين المدح والغزل فبرع في تصوير قصائده الشعرية للممدوحه فوصف حبه وتعلقه بناصر الدولة فستعمل كل ما يجعله يتفنن في تصوير مشاعره لهم في أحسن صورة وأبلغ تعبير.

الإشكالية المطروحة: ماهو أسلوب ابن اللبانة عند مزجه للمدح بالغزل؟ وما أبرز الظواهر الفنية التي برزت في قصائده؟

شملت خطتي: مقدمة وفصلين وخاتمة، تناولت في المقدمة عموم الشعر الأندلسي وحضارتها باختصار، فالفصل الأول :عبارة عن تمهيد وتحدث فيه عن الشعر في عصر الطوائف وعصر المرابطين كما عرجت على السيرة الذاتية لابن اللبانة وكل ما يخص نسبه ومولده وبيئته، أما الفصل الثاني فخصصته لقصائد المدح الممزوج بالغزل لابن اللبانة، وصور المزج وجماليات الشعر عنده وفي الأخير الخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هده الدراسة المتواضعة

كلمات مفتاحية: ابن اللبانة، المعتمد ناصر الدولة، ممدوحه، مزج المدح بالغزل، الاندلس، شعراء

القران الكريم

الأحاديث النبوية

- ابن الآبار،كتاب الحلة السيراء
- محمد مجيد السعيد، ديوان ابن اللبانة مجموع شعره، رفع عبد الرحمن النجدي
- ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقذه،ط5،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
- عواطف محمد صالح بن محمد بكر الصواف ماجستير في تخصص الأدب العربي شعر ابن اللبانة الداني.

- د.خليل محمد ابراهيم، في الأدب الأندلس (قضايا وموضوعات)
- رغد علي الزبون،شعر ابن اللبانة الذاني
- أحمد بن محمد المقري التلمساني، مح يوسف الشيخ محمد البقاعي، نفح الطيب
- د.عمر قاوس الكفاوين، وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة الداني الأندلسي
- شوقي ضيف ابن اللبانة، عصر الدول و الإمارات ،الأندلس
- د.أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب،ط1، ت: إبراهيم الأبياري، د.حامد عبد الحميد، د.أحمد أحمد بدوي، مراجعة د. طه حسين
- ابراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية
- شعر ابن اللبانة الداني ــ دراسة وصفية تحليلية ـ